الصوفية والصيام

قال العلامة السراج الطوسي : روى عن النبي : صلى الله عليه وسلم ، أنه قال « يقول الله ، تبارك وتعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزى به » .

فإن قال قائل : ما معنى تخصيص الصوم من بين سائر العبادات ، وقد علمنا أن جميع الأعمال له ، وهو يجزى به ، فما معنى قوله : « الصوم لي وأنا أجزى به » ؟ .

فيقال : له معنيان : أحدهما : أن للصوم تخصيصاً من بين سائر العبادات المفترضات لأن جميع المفترضات حركات جوارح ، يتهيأ للخلق أن ينظروا إليه إلا الصوم ، فإنه عبادة بغير حركة الجوارح .

فمن أجل ذلك قال ، تعالى : الصوم لي .

والمعنى الآخر في قوله : « لي » بمعنى أن الصمدية لي ؛ لأن « الصمد » هو الذي لاجوف له ولا يحتاج إلى الطعام والشراب ، [فمن تخلق بأخلاق أجزيه مالا يخطر على قلب بشر] .

وأما معنى قوله : « وأنا أجزى به » فإن الله تعالى ، وعد على [جميع] فعل الحسنات والثواب والمعدود من الواحدة إلى عشر أمثالها [من العشرة] إلى السبعمائة إلا الصائمين و [الصائمون] : هم الصابرون .

[وقد] قال الله عز وجل : « إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .

فخرج الصوم من الحسنات المعدودة وثوابها لأن الصوم هو : صبر النفس عن مألوفاتها ، وإمساك الجوارح عن جميع شهواتها ، والصائمون هم الصابرون ، وقد روى في معنى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا صمت فَلْيَصُمْ سمعُك وبصرك ولسانك ويدك ، وقد روى عنه عليه السلام : « إذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فإن شتمه إنسان فليقل : إني صائم .